
بني
الصغير

إِنِّي كَلْبٌ صَغِيرُ السِّنِّ إِسْمِي بِيفْ .
أُحِبُّ أَنْ أُشَمْشِمَ دَائِماً عَنْ اليَمِينِ
وَعَنِ الشَّمَالِ . في هذا الصَّباحِ .
رُحْتُ أَشُمُّ عُلْبَةً كانَتْ مَوْضُوعَةً
عَلى ٱلْمَائِدَةِ فَقَلَبْتُهَا وَانْدَفَقَتْ :
كَانَتْ تِلْكَ عُلْبَةَ بازِلَّا ! لِذٰلِكَ
أَمَرَنِي مُعَلِّمِي أَنْ أَذْهَبَ وَأَتَنَزَّهَ
خَارِجاً ! ...

هَا أَنَا خَارِجَ الْبَيْتِ فَرْحَانٌ.

وَسَعِيدٌ جِدًّا بِهٰذِهِ الْحُرِّيَّةِ! قَادَنِي حُبُّ الإكْتِشَافِ إلى طَرِيقٍ مُلْتَوٍ مَحْفُورٍ بَيْنَ صُخُورٍ..

هِهْ! هٰذِهِ فَجْوَةٌ مَفْتُوحَةٌ فِي الصَّخْرِ تُنَادِينِي... فَلْنَقْتَرِبْ... وَنَنْظُرْ... عَتْمَةٌ شَدِيدَةٌ! إِنِّي لَا أَرَى شَيْئاً! لِنَنْحَنِ بَعْدُ قَلِيلاً..



آيْ ! ضاعَ تَوازُني . أَراني
أَسقُطُ . سَقَطْتُ إلى حَيْثُ وَجَدْتُني
على أَرْضٍ رَطْبَةٍ ... أَيْنَ أَنا ؟
وَشَيْئاً فَشَيْئاً ، تَعَوَّدَتْ عَيْنايَ
العَتْمَةَ ، فَلاحَظْتُ أَنِّي داخِلَ
مَغارَةٍ كَبيرَةٍ . هِيَ نَوْعٌ مِنَ كَهْفٍ
نَبَتَ في تُرابِها . شَيْءٌ كَثيرٌ مِنَ الفِطْرِ ...
لَذيذٌ هٰذا الفِطْرُ . لٰكِنِّي لا
أُريدُ أَن أَقْضيَ بَقِيَّةَ حَياتي هُنا !

فِي طَرَفِ هٰذَا
الكَهْفِ. وَقَعَتْ
عَيْنَايَ عَلَى دَرَجَاتٍ
مِنَ ٱلصَّخْرِ مُغَطَّاةٍ بِنَبَاتِ الطِّحْلِبِ.
أَمَامَ بَابٍ مِنَ ٱلْخَشَبِ. اقْتَرَبْتُ.
لٰكِنَّ هٰذَا ٱلبَابَ مَتِينٌ وَمُقْفَلٌ
وَجَرَّبْتُ أَنْ أَدفعَهُ بِكُلِّ مَا فِي
قَوَائِمِي وَجِسْمِي مِن قُوَّةٍ. فَلَمْ يَتَحَرَّكْ..
تَعِبْتُ. فَارْتَمَيْتُ عَلى الأَرْضِ حَزِيناً...
بَغْتَةً. سَمِعْتُ صَوْتاً صَغِيراً
قَرِيباً مِنِّي: «لَقَدْ أُغْلِقَ عَلَيْكَ

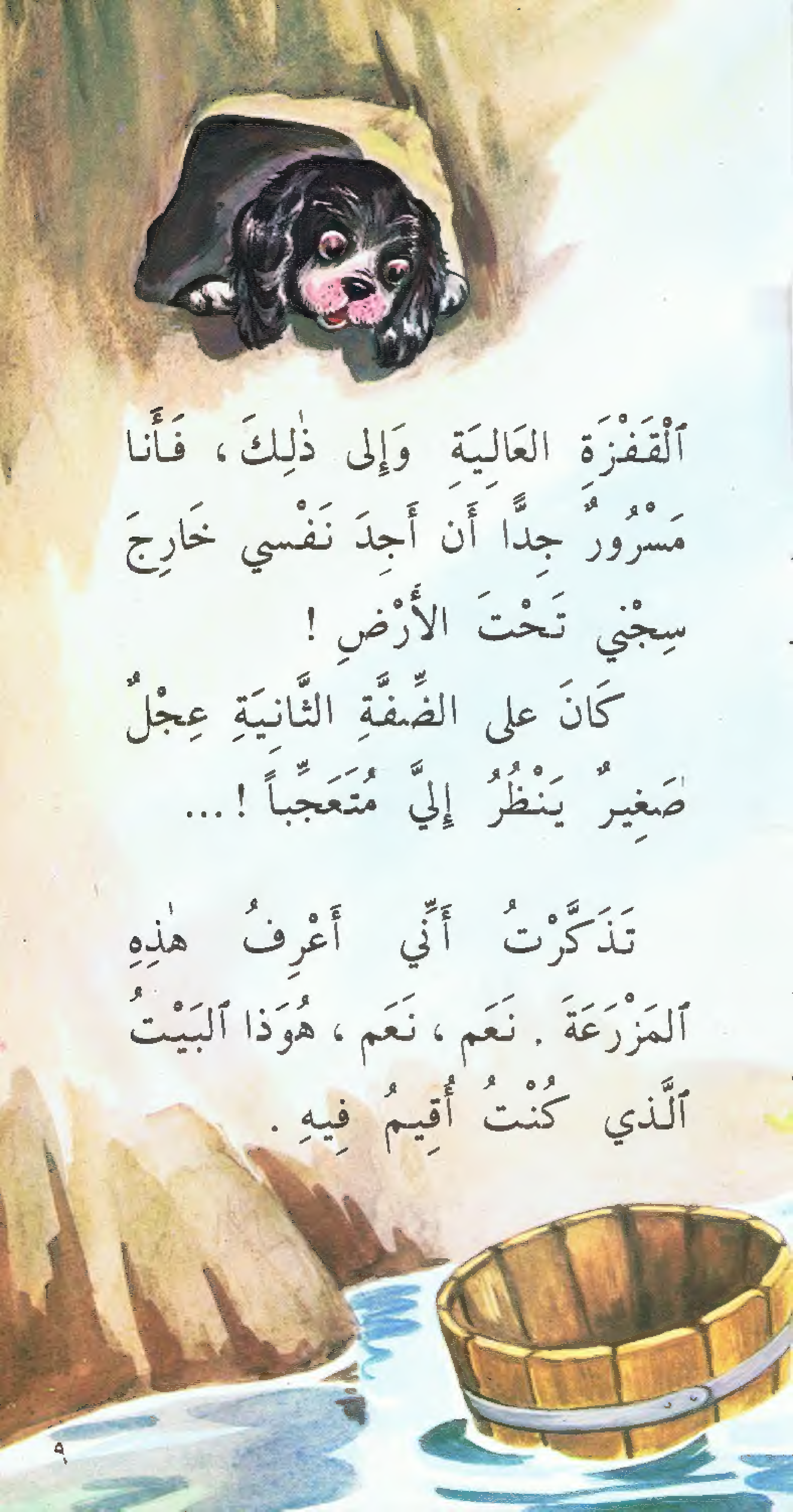
جَيِّداً هُنا » ! التفتُّ فرأيْتُ فأْرَةً لَطِيفَةً . تنظُرُ إليَّ رَافِعَةً رَأْسَها الصَّغيرَ ... « إني أَعْرِفُ طَرِيقاً . رُبَّمَا تَقْدِرُ عَلى ٱلْخُرُوجِ فِيها... » بِهَذَا الكَلامِ خاطَبَتْني أَيْضاً وَهِيَ تُشيرُ إلى فَجْوَةٍ في طَرَفِ ٱلْمَغارَةِ .

كَانَ مِنَ الطَّبْعِ أَنْ أَسِيرَ في هٰذَا الاتِّجاهِ ، وَلَمْ أَهْتَمَّ لِنبَاتِ

الفِطْرِ الَّذي سَحَقْتُهُ تَحْتَ قوائِمي !
كَانَتْ تِلْكَ الفَجْوَةُ عاليَةً مِثْلَ الأُولى ، لكِن ، إِن قَفَزْتُ على دَرَجَاتِ الخَشَبِ ٱلْمَوْضُوعَةِ وَاحِدَةً فَوْقَ أُخْرَى فَقَدْ أَصِلُ إِلى فَوْقُ...
أَخِيراً ، هَا أَنا ، قَدْ صِرْتُ في أَعْلَاهَا ،
وَهَا أَنَا مُسْتَعِدٌّ لِأَقْفِزَ إِلى خارِجٍ
لٰكِن . من هٰذَا الجَانِبِ ، لَا أَرَى طَرِيقاً . وَعِنْدَ أَسْفَلِ الصَّخْرِ تَحْتَ ٱلفَجْوَةِ ، يَمُرُّ جَدْوَلُ مَاءٍ سَرِيعٍ .

إِنَّني خائِفٌ ...

مَا أَكْبَرَ حَظِّي ! هٰذَا بِرْمِيلٌ يَقْذِفُهُ التَّيَّارُ ، يَقْتَرِبُ مُسْرِعاً ! هَيَّا يا بيبف ! كُنْ شُجَاعاً ! وَاحِدٌ ، إِثْنانِ ، هَيَّا ! وَقَفَزْتُ بِقُوَّةٍ ، فَإِذا أَنا فِي البِرْمِيلِ الَّذِي كانَ قَدْ صارَ في الجَدْوَلِ أَمامِي ! لَمْ أَشْعُرْ بِصَدْمَةٍ قَوِيَّةٍ مِن



ٱلْقَفْزَةِ العَالِيَةِ وَإِلى ذٰلِكَ، فَأَنا مَسْرُورٌ جِدًّا أَن أَجِدَ نَفْسي خَارِجَ سِجْني تَحْتَ الأَرْضِ !

كَانَ على الضِّفَّةِ الثَّانِيَةِ عِجْلٌ صَغِيرٌ يَنْظُرُ إِلَيَّ مُتَعَجِّباً !...

تَذَكَّرْتُ أَنِّي أَعْرِفُ هٰذِهِ ٱلمَزْرَعَةَ . نَعَم ، نَعَم ، هُوَذا ٱلبَيْتُ ٱلَّذي كُنْتُ أُقِيمُ فِيهِ .

رُحْتُ أَنْبَحُ بِكُلِّ مَا عِنْدِي
مِن قُوَّة: ظَهَرَ لِي أَنَّهُمْ يَسْمَعُونِي..
تِلْكَ أُمِّي... هَا هِيَ قَدْ رَكَضَت
تَنْبَحُ هِيَ أَيْضاً، وَيَلْحَقُ بِهَا
نَادِرٌ الصَّغِيرُ ابْنُ مُعَلِّمِي!

أَبْصَرَانِي فِي زَوْرَقِي اللَّطِيفِ.
فَحَمَلَ نَادِرٌ الصَّغِيرُ غُصْناً كَبِيراً.





وَضَعَ الغُصْنَ وَرَاءَ
البِرْمِيلِ لِكَيْ لَا يَجْرِفَهُ التَّيَّارُ .
وَهَكَذا اقْتَرَبَ زَوْرَقِي ـ البِرميلُ
مِنَ الضِّفَّةِ .
شَجَّعَتْني أُمِّي ، فَقَفَزْتُ . وَهَا
أَنا أَخِيراً ، في البَرِّيَّةِ ، سَالِمٌ ،
آمِنٌ ، بَعْدَ تِلْكَ المُغَامَرَةِ ! ...


سلسلة سلوة
حسّون الصّغير
دَبدوب
ناريمان والكنز
مُنظِّف المداخن
بيف الصّغير
الأرنب الفرحان
كوان كوان
كريك - كراك
الجدي بشّور
منشورات مكتبة سمير
شارع غورو • هاتف : ٢٢٦٠٨٥ • بيروت